مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــرام
التاريخ : ١٩٨١/٩/٩

موضوع

بقلم : ابراهيم نافع

هل تأخر السادات في قراراته واجراءاته ؟

بالامس سمعت الرئيس السادات يقول : « انني لا أندم على الانتظار طوال الفترة الماضية على كل ما جرى في مصر .. لم يكن التأخير من قبيل الاهمال. وقد نبهتني اجهزة الامن . ونبهني جميع معاوني الى خطورة استشراء دعاوى الفتنة الطائفية وما يصاحبها من محاولات الاستغلال من الذين تضمهم الخريطة السياسية في مصر . والذين كان هدفهم — كل وفق مخططه — اسقاط النظام الوطني » .

واضاف الرئيس السادات « لقد ساعد الانتظار في النهاية على ربط العملية كلها واتخاذ الاجراءات الكفيلة لاقتلاعها من جذورها . وذلك بدلا من القرارات الجزئية التي كان يمكن اتخاذها في كل حالة على حدة. هذا من جهة . ومن جهة أخرى كان هناك ايماني بالقاعدة الشعبية العريضة التي تربطني بها الثقة المتبادلة ، والتي أشهد وأشهد الله انها لم تخطىء فهمي أو قراراتي مرة واحدة . ومن جهة ثالثة كان الوقت لا يسمح وكانت أمامي بعض مهام خطيرة

اخرى متراكمة ، منذ أن توليت رئاسة جمهورية مصر . كانت البداية انهاء **مراكز القوى ثم طرد الخبراء السوفيت تمهيدا للمعركة الوطنية ثم الدخول فى معركة السلام بعد استرداد الكرامة وانهاء الهزيمة العسكرية والاقتصادية والمعنوية ، ثم موافقة الشعب كله على عدم الدخول فى حرب أخرى** بعدما اتضح تماما على حد تعبير الرئيس اليوغوسلافى الراحل تيتو « ان الذى يريد انهاء اسرائيل ، يتعين عليه أن يزيح الولايات المتحدة الامريكية أولا » ... ومن خلال ذلك كان لابد من ايجاد الوقت اللازم لتصور وتحديد المشاكل الكبيرة والسريعة التى تهم القاعدة العريضة لحلها » .

ومع ذلك فان السؤال ما زال قائما :

هل تأخر الرئيس السادات فى مواجهة رؤوس الفتنة ؟

دون تكرار أو اعادة ما تحدث به الرئيس للشعب فى بيانه ، كانت الصورة بكل الوضوح والصراحة كما يلى :

① **ان الرئيس السادات اعتبر ان قضية الاخوان المسلمين بكل ما لها وما عليها أصبحت منتهية ، خاصة وانه هو الذى أخرجهم بنفسه من السجون وأعادهم الى وظائفهم** ، وأعاد لهم حقوقهم بأثر رجعى ثم أعطاهم حرية السفر والعمل فى اى مكان يريدون . بالاضافة الى ذلك كفل للجماعة — وهى غير شرعية قانونا — حق التعبير عن

آرائها والدعوة الى الدين الاسلامى وفضائله وسماحته من طريق جرائدهم ومجلاتهم .وكان ذلك من خلال التجربة الديمقراطية التى أعادت لكل من يعيش على أرض مصر جو الحرية والثقة والامن والامان والرزق الحلال .

بكل صدق لم يخطر ببال الرئيس السادات، أن الجماعة تصر على الثار وتعد نفسها له.. قد لا يكون هذا الثار جهالة شخصيا . ولكنه بالقطع ثار من ثورة ٢٣ يوليو ككل ، وهى التى قامت بتصفيتهم فى عام ١٩٥٤ عندما بدات الجماعة فيفرض آرائها بقوة السلاح .

② واضح أيضا ، ان الاخوان المسلمين فى ضوء تجربة ٥٤ قد قاموا بتغيير جوهرى فى بناء هيكل التنظيم لكى يصعب على أجهزة الامن معرفة قياداته التى تم تصفيتها بسهولة فى الماضى .ومن ناحية أخرى يتم تكوين جماعات متفرقة ومتشعبة تنتشر تدريجيا ثم تتسع بكل الوسائل والاتصالات الداخلية والخارجية . ذلك كله من طريق تنسيق يتم فى سرية تامة وفى أضيق الحدود . حدث ذلك فى أعوام ٧٥ الى عام ١٩٧٨ .

③ **كانت النظرة العامة للقيادة خلال هذه الفترة أن هناك موجة عالمية تتسم برفض الشباب لما يجرى فى العالم سواء فيما يتعلق بالتسليح والحروب او قضايا الغنى والفقر أو مشكلات البيئة والتلوث أو القلق النفسى الذى سيطر على الشباب، واسفرت هذه الموجة فى اوروبا وامريكا من حركات مجنونة كحركات «الهيبز» ومستعمرات العراة ... وكانت نظرة القيادة أيضا أنه خير وبركة ان يتجه بعض الشباب المصرى الى الدين بدلا من هذه الحركات المجنونة الفوضوية او بدلا من انجرافهم للوقوع فى براثن النظريات الهدامة كالشيوعية .**

④ وفى الحقيقة فان الرئيس السادات لم يعط اهتماما كبيرا لما يجرى على هذه الساحة الا قبل عامين أى فى عامى ٧٩ و ٨٠ . وبدا هذا الاهتمام الكبير عندما خرجت منشورات الجماعات الاسلاميةتحمل لهجة البذاءة والتطاول التى عرفت عنالشيوعيين .. قد يكون هذا التطاول والهدم مفهوما حين يصدر من جانب الشيوعيين على أساس انظريتهم تستبيح كل شىء لاثبات الوجود وضمان التغلغل فهم لا يؤمنون بقيم أو بخلق أو مبادىء أو دين . وهم يضعون الحزب الشيوعى ومبادئه فوق العائلة وفوق كل فضيلة . وما كان مستغربا فى هذه الظاهرة هو ان تأخذ منشورات الجماعات الاسلامية نفس الخط ونفس الاسلوب وفى الوقت الذى يؤمنفيه الجميع انهمدعاة دينوحق ورسالة وسماحة ودعوة بالحكمة بالموعظة الحسنة .

⑤ **بدا الانتشار الكامل لهذه الجماعات الاسلامية فى الجامعات والمعاهد ، فى غيبة شبه تامة من جانب القاعدة الطلابية العريضة التى لا تقبل على الانتخابات .وتمكنت الجماعات الاسلامية بتنظيماتها من السيطرة على جميع اتحادات الطلاب فى الكليات والجامعات . وعندما تحقق ذلك بدأت تصرفاتهم تتضح داخل الجامعات بدءا من منح اقامة الحفلاتأو اقامةمعارض لكتب بعض كبار كتابنا مثل توفيق الحكيم واحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ كما حدث فى الاسكندرية . وانتقلت هذه التصرفاتالغريبة الى الشارع بالتعرض للاهالى وحرياتهم الشخصية كما حدث فى المنيا واسيوط وسوهاج .**

⑥ انتقلت الجماعات الى الخطوة الثانية بعد ان اكتمل انتشارها بالشكل الذى يطمئنون اليه الى مرحلة استعراض العضلات . واتخذت الدولة اول اجراء مع الشيخ المحلاوىوالشيخعيد — اللذين استمرا اكثر من عامين فى تحدى الدولة بجميع انواع الشتائم والهجوم على النظام واتفاقية السلام واجهزة الامن الداخلية مع استخدامهما لكل

موتور وحاقد للتحدث فى المسجد ـ بايقافهما عن الخطابة طالما انهما قد خرجا عن الدعوة الدينية . وبالفعل تعهد الشيخ المحلاوى حينذاك أمام المحامى العام بالاسكندرية بالتزام الموضوعية وتنفيذ القرار . الا ان الجماعات الاسلامية طلبت منه وعلى مسئوليتها التحدث فى مساجد اخرى ووافق على القيام بجولة فى مقار الجمعيات الاسلامية متحديا التعهد الذى اخذه على نفسه . **وعندما امرت النيابة بحبسه تحت ذمة التحقيق طالبت الجماعات الاسلامية بالافراج عنه وان تعتذر الحكومة له ، والا خرجوا جميعا فى مظاهرات فى جميع المحافظات . وكانت تلك بداية خروج الجماعات الاسلامية عن جميع الحدود القانونية والموضوعية والامنية .**

⑦ كان ذلك كله يتم اعتمادا على عنصرى التخويف والارهاب وفرض آرائهم ومواقفهم تدريجيا على الدولة ، ويتم ايضا تحت ستار التظاهر « بان ليس لهم اى اتصال بجماعة الاخوان المسلمين » . **وذلك فى الوقت الذى يطلب فيه « عمر التلمسانى » زعيم الاخوان من الرئيس السادات ان يبقيه مع « الاولاد » لضمان عدم تطرفهم . وفى الوقت نفسه يلقى بخطاب له فى نقابة المحامين يتضمن نفس اسلوب وخط « الاولاد » فى الجماعات الاسلامية .**

⑧ **ظهرت عملية التنسيق بطريقة لا تدعو الى الشك بعد احداث الزاوية الحمراء .. ففى دقائق بدأت تحركات الجماعات الاسلامية من جامع النور فى العباسية ثم فى حلوان وفى مناطق عديدة متفرقة وفى نفس الوقت فى سوهاج تحت دعوى ان هناك مئات من المسلمين قد قتلوا ، بينما حاولت اجهزة الامن بكل حسم وقوة اثبات ان هذه الدعاوى كاذبة .**

⑨ فى هذه الاثناء كان الشيوعيون يتوقعون صدام السلطة المحتم بهؤلاء الذين خرجوا عن القانون وعن الحدود وعن اسس سلامة الوحدة الوطنية اولا واخيرا . وكان مخططهم ايضا هو العمل على تضخيم كل حادثة عابرة من الحوادث اليومية البسيطة التى تجرى فى مصر بين المسلمين والاقباط . ثم التركيز فى الهجوم على اتفاقية السلام التى تمت دون مشاركة الاتحاد

السوفيتى ـ الذى يؤكد كل يوم على ضرورة حماية امن اسرائيل ـ باكاذيب مختلقة تماما . كل ذلك بهدف اخلاء الميدان للشيوعية والشيوعيين ⑩ كان الاعتقاد السائد لدى

الرئيس السادات هو ان فؤاد سراج الدين والوفديين القدامى قد تعلموا درس التاريخ ، وانهم يستطيعون القيام بدور فعال جديد فى تعميق اسس الديمقراطية التى ننشدها جميعا . لكن مرة اخرى تغلبت الدوافع الشريرة لتصفية الحسابات ، والانانية الفردية حتى لو كان ذلك عن طريق ضرب الوحدة الوطنية التى تؤدى حتما الى كارثة قومية . .دون تمسك بالسلوك السياسى القويم الذى يعنى الالتزام بالقيم الوطنية والامن القومى .

وراح فؤاد سراج الدين وجماعته يتحدثون فى نقابة المحامين ونجحوا فى السيطرة عليها من الخارج . واذكر سؤالا وجهه اللواء نبوى اسماعيل نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية الى السيد احمد الخواجه النقيب السابق للمحامين هو : الا تعلم الاتجاهات الموجودة فى المجلس ؟ فرد عليه الخواجه قائلا : « اذا كان مجلس النقابة يتكون من ٢١ محاميا وانا رئيسهم فانه بالفعل يضم ٢٥ وفديا » ⑪ وعلى الجانب المسيحى

الاخر ، كان الشحن قد وصل الى مداه . قيادة لا تتحرك فى الاتجاه السليم ، الذى يئد الفتنة ولا يذكيها ، ويعمل على التمسك بالوحدة الوطنية ولا يساعد على ضربها ، ويقنع الاقباط فى داخل مصر وخارجها انهم مصريون قبل كل شىء ، وان مصر الوطن الام هى الباقية ، وان اسمها هو الخالد وأن تشويه سمعتها جريمة لا تغتفر .

القضية بوضوح انه يمكن بامانة تسمية فترة العامين الماضيين بفترة « الفهم الخاطىء للديمقراطية والغباء السياسى من جميع هذه العناصر » .

ولم يكن من الممكن بعد هذا التمادى وعدم الاكتراث بسلامة وحدة الامة وامنها القومى ، الذى يتهدده الانفجار فى كل وقت من جراء عمليات الشحن المستمر وفى ضوء هذا التنسيق المخرب ، ان يستمر استخدام

الوسائل التقليدية .

بالامس ايضا سمعت الرئيس السادات يقول : «الذى

يعمل على الهجوم على المسيحيين والمسيحية هو خائن لدينه ووطنه ، والهجوم على الاسلام والمسلمين هى خيانة وطنية فضلا عن انها مخالفة دينية . والى ان تقوم الساعة سيعيش المسلمون والاقباط معا كعنصر واحد على أرض واحدة تظلهما سماء واحدة . لا فرق عندى بين مسلم وقبطى الا ما يقدمه لمصر » .

ابراهيم نافع

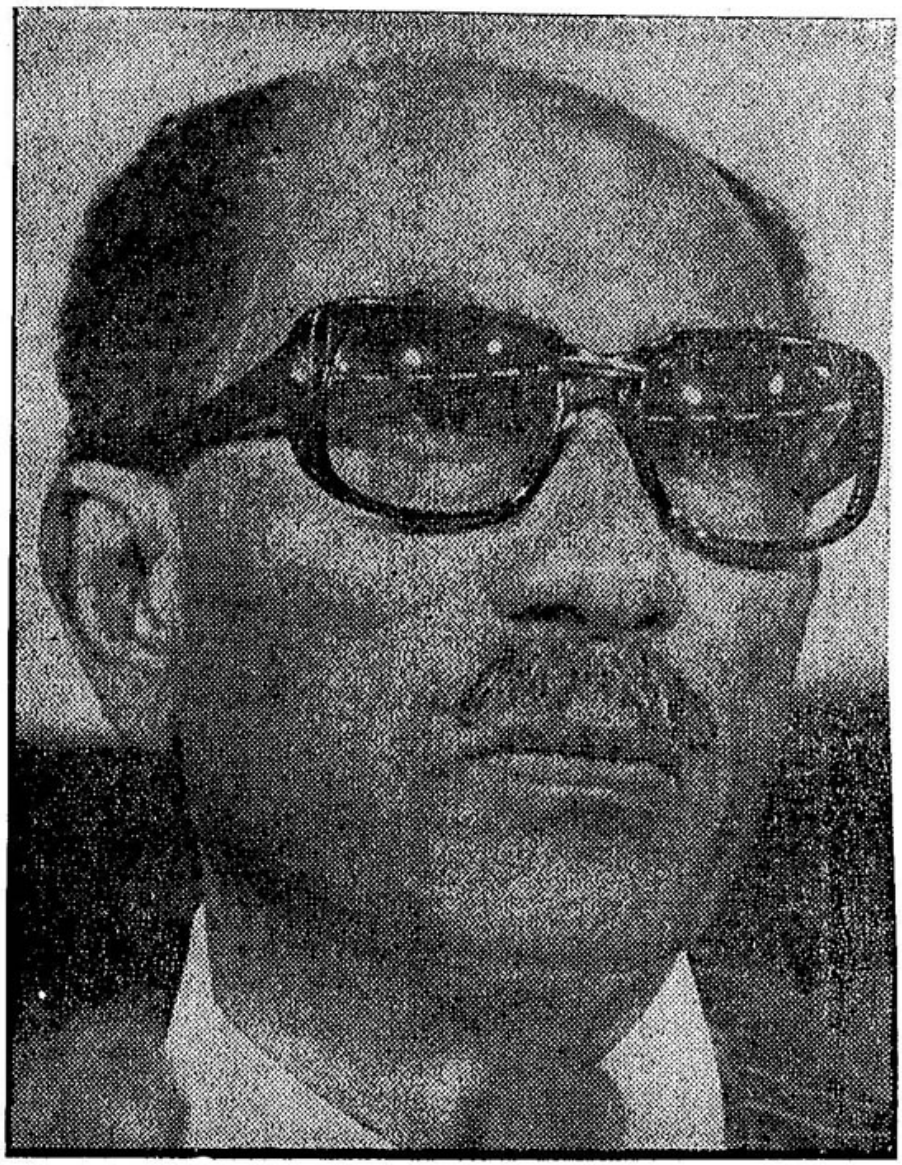

□ الرئيس انور السادات □